وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية كلية الاداب

قسم علم الاجتماع

اشكالية التعليم من المعرفة الى الوعي

دراسة اجتماعية للمناهج النبوية الشريفة في التعليم الديني

الاستاذ الدكتور

صلاح كاظم جابر

استاذ مادة علم الاجتماع الديني

كلية الاداب/ جامعة القادسية

اشكالية التعليم من المعرفة الى الوعي (دراسة اجتماعية للمناهج النبوية الشريفة في التعليم الديني)

يعد الدين احد اهم الصيغ الثقافية بـ(المفهوم الانثروبولوجي) او العنصر الاساسي من عناصر توليد المعنى. الذي يضفى على الوجود في الحياة الاجتماعية للإنسان، الذي يرتبط بدوره بصورة مباشرة بطبيعة الوعي الناتج عما يكتسبه الفرد او الجماعة او المجتمع من المعرفة الناتجة من عمليات التعليم. التي تخلق انماط متعددة من التثقيف في ميادين ومجالات الحياة الاجتماعية. تؤثر وتتأثر بنمط التثقيف الديني الذي يتعرض له الفرد. في سعيه الى اشباع اكثر الحاجات المتجددة للإنسان الحاحا واكثرها اهمية في حياته على الاطلاق، المتمثلة في الحاجة الى تحصيل المعرفة التي تغطي جميع جوانب الحياة الانسانية المادية منها والمعنوية التي تشمل السلوكية والفكرية .

بدءا من تفسير الطارئ من الظواهر الطبيعية والاجتماعية والسلوكيات الفردية والجمعية غير المسبوقة، التي تؤثر بشكل مباشر او غير مباشر على الوجود الانساني، او تمثل ما يصعب ادراكه الى حد الاستعصاء. الذي يتمثل بتلقائية انقياد الانسان الى مجموعة البديهيات (الايمانيات) بكل اصنافها. وان كانت تقع على الضد من اهدافه ومصالحه او تشكل العائق الاساسي لإشباع الحاجات التي سيؤجلها الى الحياة الاخرى. وصولا الى تأكيد الوجود بالسيطرة على كل الظواهر الطبيعية والاجتماعية وتسخيرها لخدمته من اجل توجيهها نحو تحقيق السعادة الانسانية. التي تعني خلو المجتمع من المشكلات التي تنغص حياة الانسان سواء في الحياة الاولى او الأخرى من خلال تحقيق معنى لهذا الوجود لمن يؤمن منهم بحياة ما بعد الموت .

فيما يجعل الوعي من منهجية تحصيل المعرفة هي الطريق الاساسي الامثل لتراكم هذه المعارف. اذ تثبت هذه المناهج صلاحيتها للتحصيل العلمي بالتجربة. التي يعززها الوعي بالأهمية العلمية للمنهج في التحصيل المعرفي. اذ ان الوعي يشير الى ادراك حقيقة الشيء كما هو. فضلا عن ادراك وظائفه ومقاصده. وقد ثبت الوحي مجموعة من المناهج للرسول الاعظم محمد (ص) نحاول في هذا البحث مقارنتها بالمناهج المتبعة حاليا في التعليم الديني. هنا تكمن اشكالية التعليم الديني التي ترتكز بالدرجة الاساس الى تزويد الافراد بمناهج تحصيل المعرفة الدينية. التي تعاني في عصرنا الحالي من ازمة في عملية التوظيف الاجتماعي لها. بالتالي عملية تحقيق الهدف الاجتماعي من المعرفة الا وهو تحقيق سعادة الانسان في

الدارين. فنسبية المعرفة الدينية بما هي تحصيل انساني، تغير الظروف الاجتماعية، ومستجدات الحياة الاجتماعية. تجعل مما هو صالح لمن سبقنا لا يفي بالغرض الذي نتوخاه منها اليوم. بما يخلق الحاجة الى المعالجة الجديدة للنص التأسيسي (القران والسنة النبوية المطهرة) وفق المناهج النبوية، التي اثبتت كفايتها وكفاءتها في موائمة المعرفة الدينية اللدنية للحياة الاجتماعية للافراد، بما يجعل التكليف بالخلافة والاستعمار في الارض ممكناً. المقدمة

هبط الامين جبرئيل بمبادئ اسست لثورة اجتماعية. احدثت انقلابا جذريا سريعا في حياة المجتمع العربي قبل الاسلام. من جهل الى حضارة، من تشرذم الى وحدة، من شريعة غاب الى عدل وحرية ومساواة انسانية، من اقتتال وتناحر الى وحدة ووئام وعمل اجتماعي مشترك في سبيل حياة اجتماعية مزدهرة . جعلت منها ثقافة، ساهمت في تأسيس اعظم حضارة عرفها التاريخ. شملت ثلاثة ارباع العالم القديم في فترة قياسية في عمر المجتمعات قوامها اقل من مائة عام. رغم كل ما اعترى هذا المجتمع من منغصات ابتعدت به عن المنهج النبوي تدريجيا بعد وفاة الرسول الاعظم محمد (ص). حتى وصلت به الى الانهيار والعصور المظلمة.

المجتمعات العربية والاسلامية الشرقية بشكل عام ومنها مجتمعنا العراقي بشكل خاص. مجتمعات اثبتت العلوم الانسانية المعاصرة بانها (مجتمعات متدينة). يقوم النمط المعرفي الديني فيها على الصيغ الاسطورية في اكتساب المعارف الدينية. نظرا للاعتماد مجموعة المناهج التي ابتعدت بالتعليم الديني عن اساسه العقلاني الواعي للاهداف والغايات الالهية. الى صيغته الرمزية التمثيلية بالنسبة الى المخول الاجتماعي (رجل الدين). لقد شاع في الموروث نقلا عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام (...يا رب وعزتك ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك انما عرفتك أهلا للعبادة...) فأي المناهج اتبعت في تحصيل هكذا معرفة؟، هكذا ايمان؟.

ان عمليات التدجين الممنهج للثقافات الانسانية في ظل ثقافة العولمة، تسعى الى الغاء خصوصية الثقافة الاسلامية ودمجها في ثقافة سلعية، تقتل روح الانسان وتهبط به الى الدرك الاسفل. لتحوله من اكرم مخلوقات الباري عز وجل الى سلعة تثير اصحاب الاموال للربح. هو الذي جعل من التدين يوسم بالطابع

الاسطوري الاستعراضي الخالي من المضمون. فقدمت وسائل الاعلام الحديثة المعرفة الدينية كوسيلة لترويج الاعلانات.

ان حتمية الموائمة بين القيم الواردة عن طريق وسائل الاتصال الحديثة والمخترعات التي تصدرها العولمة الى مجتمعاتنا. مع ما تتضمنه منظومتنا الاسلامية التي بناها القران الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة ال البيت الاطهار والصحابة المنتجبين، ممن سعوا الى ان يبقى الاسلام كما هو من اول الزمان الى اخره. تتطلب اعادة النظر في طبيعة البنية المعرفية للدين في الشخصية الاجتماعية العراقية والعربية والاسلامية. لتحقيق النظر العقلاني الواعي في غايات العلاقة التي تنشا بين القيم الوافدة والسائدة، بما يحبط الاهداف الى ترمي الى اذابة الهوية الدينية. ان استيعاب هذه القيم الوافدة اسلاميا يفترض ان يقوم على المنهج القرآني. الذي استوعب القيم السابقة والمعاصرة لظهوره في الجزيرة العربية. التي يتهمنا المستشرقون اليوم باقتباسها ممن سبقونا. بل يأخذونها الذريعة للتشكيك بالهية الدين الاسلامي مستندين الى تجاهل النظرية القرآنية في منهجية التغيير الاجتماعي المخططة الهيا والمنفذة نبويا. من المسلمين انفسهم قبل غيرهم. الباحث

المبحث الاول اولا – مشكلة البحث

تكمن مشكلة في خلال التساؤلات الاتية:-

١- هل ان مناهج التعليم الديني الحالي تعتمد على المناهج القرآنية التي اعتمدها الرسول الكريم في تنشئة السلف الصالح
٢- هل ان المعرفة الدينية التي يزود بها رجل الدين تاخذ طابعها الاجتماعي المعاصر الذي يخلق التوافق بين التعاليم الدينية ومستجدات العصر
٣- هل ان الوعي الديني الذي يكتسبه رجال الدين يتسم بانه وعي حقيقي قادر على منح المتدين ضالته من المعرفة الدينية
٤- ما هي اكثر وسائل التعليم الديني فاعلية في الوقت الحاضر وما موقف الدين ورجاله منها.

ثانيا – اهمية البحث

تمكن اهمية البحث في جانبين اساسيين هما الجانب الموضوعي الذي يشير الى :-

١- بيان المناهج النبوية التي اعتمدت في اساسها على التوجهات القرآنية لرسول الكريم
٢- بيان اهمية المعرفة الدينية وبالتالي المسؤولية الدينية لفرد المتدين الفردية والاجتماعية في ظل متغيرات العصر

اما بالنسبة الى الاهمية الذاتية فتكمن في

١- احساس الباحث بوجود هوة بين المناهج النبوية والمناهج الحالية في التعليم الديني
٢- رغبة الباحث في التعرف على المناهج النبوية في التعليم الديني واثرها في تشكيل الوعي الاجتماعي الديني الحقيقي الذي يجمع ولا يفرق على خلاف المناهج الحالية التي تفرق ولا تجمع

ثالثا – اهداف البحث

يمكن حصر اهداف البحث بالنقاط الاتية :-

١- بيان اسس التعليم الديني القرآنية التي اعتمدها الرسول الكريم في التعليم الديني للمسلمين الاوائل من السلف الصالح
٢- بيان اهمية دور المعرفة الدينية في تشكيل الوعي الديني لأفراد المجتمع
٣- بيان موقف الدين من المسؤولية الاجتماعية الدينية الفردية والجمعية من خلال فهم الذات العارفة لها
٤- بيان الهوة السحيقة بين التدين النخبوي الذي يسعى الى التوحيد والتدين الشعبي الذي يشدد الحواجز بين المذاهب والفرق والطوائف

رابعا – تحديد المفاهيم

١- الاشكالية (Problematic)

الاشكالية الغموض الذي يؤدي الى الالتباس في القضايا التي تتركب من مشاكل متعددة تدفع الى التأمل والتفكير الملي لحلها يأتي من التباس الفهم في اي من هذه المشاكل تعد محورية واساسا لحل

المشكلات الاخرى بين تسمح بتناقض الاجابة في بعض الاحيان بين السلب و الايجاب. وكذلك الاشكالية هي مسالة تثير نتائجها الشكوك بسبب احتمالية الفهم الصحيح لها نتيجة اتباع الطرق التخمينية لمعالجتها.(١)

واشكالية البحث الحالي تكمن في مقدار ونوعية المعارف التي تزود لطلبة العلوم الدينية في المؤسسات التعليمية الرسمية و غير الرسمية التي تعتمد على تلقين مجموعة من المعارف التي يعدها الطالب غاية العلوم دون تعليمه المنهج المؤدي الى تحصيل هذه المعرفة دون التحقق من اقترابها او مطابقتها للحقيقة باتباع نمط من المنهجية المتوارثة من علمي اللاهوت و الكلام القديمين اللذين عملا على تفريق الدين الاسلامي الى شيع ومذاهب وطوائف لا هم لها سوى تخطئة الاخر متناسين المنهج النبوي في تقبل الاختلاف فقد قال (ص) (اختلاف امتي رحمة)

٢- التعليم (Didactic) التعليم في اللغة العربية يأتي من الجذر علّم (فعّل) والتفعيل هو تنشيط ما يمتلكه الفرد من المواهب الطبيعية والقدرات العقلية (التشديد للتعددية). هو عملية التواصل التي تتم بين فردين في الأقل فيمنح الأول الثاني ما يمتلكه من العلم الذي يشير إلى إدراك الشيء بحقيقته. وكذا يعني اليقين الذي يستند إلى مجموعة الخبرات والمعارف المتخصصة في إحدى مجالات الحياة الإنسانية. إذ يطلق العلم على مجموع المسائل والأصول الكلية التي تجمعها فصول جهة كـ(الجغرافيا، الكيمياء، التاريخ، الاجتماع). التعليم يشير ايضا إلى تلك العملية التي يكتسب من خلالها الفرد المعارف والخبرات التي يستفيد منها في واقع حياته اليومية ومستقبله.(٢)

المعلِم من اتخذ من التعليم مهنة والمعلَم هو الملهم للصواب أو الخير وهو (المفعّل) وهنا يكون التعليم فيما هو نافع لبني الإنسان الذي يوسم بأنه الخير. والمتعلم هو من سعى إلى تحقيق هذا الخير بامتلاكه العلم من خلال توظيفه في لتحقيق المنافع. وتعلم الأمر أي أتقنه وعرفه ويرتبط مفهوم التعليم باللغة العربية بالثقافة التي تشير الى الحذق والاتقان. اما التعليم في اللغة الانكليزية (Didactic) هو الحصول على الخبرة والمعرفة أو المهارة. أو هو البناء المنظم للقدرات الفردية. أي أن هذه العملية تنطوي على (المأسسة). ويشير ايضا إلى التنظيم الذي تخضع له عمليات تزويد الأفراد بالخبرات والعارف الطبيعية والإنسانية والاجتماعية

منها على وجه التحديد. التعليم في علم الاجتماع يشير إلى عملية التكون التدريجي للخرائط المعرفية التي تعمل على تدعيم أو إضعاف الدوافع التي تجعل من نماذج الفعل جزء من العادات.(٣)

٣- المعرفة (Knowledge) المعرفة مصدر، وضع ليدل على شيء بعينه، والجمع منه معارف، والمعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه، لذلك يسمى الحق بالعالم دون العارف، والمعرفة إدراك الجزئي أو البسيط، ولهذا يقال عرفت الله دون علمته والمعرفة بالشيء هي الإلمام به من كافة جوانبه بشكل ولو سطحي وفق ما متفق عليه اجتماعيا. والمعرفة قد تأتي للفرد دون مبادرة منه كما هو الحال مع وسائل الاعلام التي تسعى الى تحقيق أهدافا بعينها عندما تثير انتباه الفرد وتدفعه إلى المشاهدة أو السماع للفكرة أو المعلومة التي يحصل عليها الفرد جاهزة دون عناء أو تجربة.(٤)

المعرفة في اللغة الانكليزية (Knowledge) هي الإحاطة بالشيء أي العلم به، والمعرفة أشمل وأوسع من العلم ذلك أن المعرفة تشمل كل الرصيد الأوسع، والهائل من المعارف والعلوم والمعلومات التي استطاع الإنسان التوصّل إليها بوصفه أحد الكائنات الحية ، فهو مخلوق يفكر، ويتمتع بالعقل القادر على أن يجمعها عبر مراحل التاريخ الإنساني الطويل بحواسه وفكره وعقله ومن هنا يمكن القول أن المعرفة أي شيء توصل إليه الإنسان منذ ولادته من أحداث ووقائع ودروس مستفادة وحتى لحظة مفارقته للحياة. يحدد (إدوارد سعيد) المعرفة المنشودة في مجتمعنا العربي بأنها معرفة تقوم على الفهم بدلا من السلطة والتكرار، ان مجتمع المعرفة يعلم ويتعلم ويتواصل، ويبتكر ويتحكم ويتاجر ويضع الأنظمة ويتقدم في كافة جوانب الحياة من خلال استعماله التّقنية الرقمية فهو المجتمع، أو الجهاز العصبي الرقمي الذي يدير الإمكانيات غير المحددة لإدارة المعرفة لتحقيق مزيد من التقدم. (٥)

٤- الوعي (Consciousness) الوعي في اللغة مشتق من الفعل الثلاثي (وعى) يعيه (وعيا) إي حفظه، ومنه أُذنٌ واعية أي مصغية ومدركة. كما وردت في القرآن الكريم بأن لها قابلية على الإصغاء والإدراك (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)، فالوعي يعني الفهم وسلامة الإدراك. الوعي في اللغة الانكليزية (Consciousness)وهو كلمة لاتينية في الأصل تعني المعرفة بالأشياء على نحو مستمر.(٦)

يعد فرنسيس بيكون(١٥٦١ -١٦٢٦) أول من استخدم هذه الكلمة. وأول عرف الوعي بأنّه (الأفكار التي تمر في عقل الإنسان) جون لوك. الوعي بهذا المعنى يتضمن إدراك الفرد لنفسه ولوظائفه العقلية والجسمية وإدراكه لخصائص العالم الخارجي وبالتالي إدراكه لنفسه بوصفه عضواً في جماعة. اما الوعي

الاجتماعي فهو الاتساق المقصود من ترابط النظم الاجتماعية وتكاملها وتفاعلها. يتوقف نشاط الانسان بالضرورة على حالة الوعي والظروف المادية التي يمارس فيها نشاطه والوسائل المستخدمة لممارسته(٧)

إن الوعي الديني يشمل الإدراك الموضوعي لحقيقة القيم الدينية التي يؤمن بها الفرد والتي تنتج من خلال هذا الإدراك مجموعة السلوكيات التي تتضمن الجانب الديني في حياته سواء كانت عبادات أو معاملات، ويُعدُّ الوعي الديني

٥- المناهج (Methods) المنهج هو الطريق او السبيل او الوسيلة التي يتم بواسطتها بلوغ الاهداف العملية والمعرفية او حتى الاهداف الاجتماعية، كذا فهو الدراسة المنطقية المنظمة للمبادئ العامة التي توجه الاستقصاء المنطقي. المنهجية ايضا مجموعة الادوات والاجراءات المستخدمة في امدادنا بالمعرفة العلمية تؤلف نظاما معياريا وتمثل الاتجاه العقلي يعد ريمون بودون تنوع ميادين علم الاجتماع هو الذي يدفعنا الى التعدد في المناهج المستخدمة والتي يقسمها الى مجموعة من الانواع التي تشمل الدراسات الشاملة ومنها دراسات التغير الاجتماعي والدراسات التي تعمل على تحليل التوجهات او المذاهب الاجتماعية التي تتمثل بالسمة الاجتماعية الغالبة على مجتمع ما.(٨)

المبحث الثاني المنهج الثوري (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما انزل اليهم ولعلهم يتفكرون)(٤٤ النحل)

مفهوم التفكر القرآني ورد بصيغة الخطاب الموجه الى الجماعة ستة عشر مرة. فيما لم يرد بصيغة المفرد الا مرة واحدة ليروي حادثة فردية. في ثلاثة عشرة سورة مكية واربع سور مدنية يشير الى مطالبة الانسان اعمال العقل وتوظيف المعرفة الاجتماعية منهجا للوصول الى العلم بأسس العلاقة بين ربوبية الباري عز وجل وبين موضوعات الآيات التي تضمنت جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية التي خيّر الناس فيها بالتفكر في خمسة آيات فقط كان النص يشير فيها الى انه من الخير للناس ان يتفكروا. او لأناس تميزوا بانهم قادرين على التفكر بما يمتلكونه من معرفة سابقة في احد عشر اية يشير النص فيها الى اهمية ووجوب التفكر.

الثورة هي كل تغير اجتماعي جذري وسريع سواء جاء عن طريق الانقلاب العسكري الدامي او الفكري الواعي يعمل على اعادة بناء المحاور الاساسية للمنظومة القيمية السائدة في المجتمع بالاعتماد على المنهج

الذي رسم مسبقا لتحقيق اهداف وغايات الثورة التي تكون غايات واهداف متحركة باتجاه التقدم ومحركة للمجتمع بنفس الاتجاه. فكان التفكر القرآني ملازما للدعوة الاسلامية في مرحلتيها المكية والمدنية وكلف بها الجماعة لا الفرد في كلا المرحلتين لان الطابع الاساسي للمعرفة هو اجتماعي عام يأخذ الصفة الجمعية لان اهداف الثورة هي اهداف وغايات اجتماعية عامة عن طريق منهج خاص يتبع من قبل كل افراد المجتمع طوعا او كرها (بالتخيير او باستنهاض الهمم) لحين خلق عقلية اجتماعية تقوم على الفهم والوعي الاجتماعي الذي يؤهل القيم الثورية الى التقبل والاندماج في الحياة الاجتماعية لعامة المجتمع وبالتالي تصبح جزءا اساسيا من ثقافته.(٩)

تفرض التغيرات الاجتماعية التي تحدث في حياة الفرد والمجتمعات عليه تبني المنظومات القيمية التي تسود فيه بكل ما فيها من القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية الاصيلة والدخيلة التي نعاني من وطأتها، ومن وطأة تحديد طبيعة الاستجابة السلوكية للفرد المتدين على اساس موقف الدين منها. خصوصا تلك التغيرات التي تحدث على اساس القيم الاجتماعية الوافدة مع المخترعات المادية للحضارة الغربية. التي ادت الى سيادة نوع من التخبط الاجتماعي عند الشباب بشكل خاص، هذا التخبط دفعهم الى التفرق شيعا واتجاهات بدأ بتقليد الكثير من السلوكيات الاجتماعية السلبية، التي يعدونها من التطور لانهم اقتبسوها من مجتمعات متطورة كالمجتمعات الغربية. او السلوكيات المتخلفة التي يعدونها اصل الدين لانهم اقتبسوها من جماعة متطرفة وهو منها براء ولا يجدون بين هذا وذاك سبيلا لافتقارهم المعرفة الدينية التي تؤهلهم لاهمية التفكر وفهم المنهج الديني في التعامل مع الحياة الاجتماعية ومستجداتها.(١٠)

ان طبيعة التعليم الذي تعرضوا له هو الذي خلق واحدة من القيم الاجتماعية السلبية عندما خلق الاعتقاد انه يضمن لهم مجموعة المعارف الجاهزة المتمثلة بالمناهج التعليمية التي تعتبرها المؤسسة التربوية غايات العلوم التي لا محيص عنها على الرغم من عدم ارتباطها بواقع الحياة الاجتماعية او انعدام القدرة على تمثلها فيها. فعمل افراد المجتمع والشباب منهم خصوصا على الاعتماد على مثل هذه المنهجية البالية حتى في عملية تحصيلهم للمعارف الدينية فسادت قيم التخلي عن المسؤولية الدينية والاجتماعية التي الزموا بها اليوم رجل الدين حصرا (حطها بركبة عالم واطلع سالم) والتي تشير في معناها الى التواكل في الدين. ان

الافراد لا يكلفون انفسهم بالتثقيف الديني والوعي بالأسس التي يقوم عليها الدين الاسلامي الحنيف بل يعملون على اتباع كل من ادعى الأعلمية والمعلومية الدينية وان شكوا في اهليته لذلك.(١١)

الانكا من ذلك ان مثل هذه السلوكيات لم تعد مقتصرة على مرحلة عمرية بل تبلورت الى حد انها اصبحت جزء من المنظومة القيمية الاجتماعية العامة. خصوصا القيم الاسرية في التعامل. فقد فهموا الاستقلال والفردية على انها قطع صلة الرحم، وليست واجب السعي الى تحصيل الرزق (واسعوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) مع بقاء الصلة كاهم الاعمال الدينية الموصلة الى رضا الله من خلال رضا الوالدين. كما فهموا الاستخدام العشوائي السلبي لعناصر الحضارة المادية على انه التقدم فتبلورت قيم اجتماعية على درجة كبيرة جدا من الاهمية تحط من قدر العلم والتعلم واهمية التعليم في اكتساب المعارف التي تبني الوعي الحقيقي بل ركنوا الى المعرفة الجاهزة التي تقدم مجانا دون النظر الى اهداف وغايات من يكلف نفسه ليقدم العلم مجانا تلك المعارف التي ترتكز الى التعليم الالي الميكانيكي الجاهز القائم على التلقين الذي لا يمكن التحقق منه الا عن طريق التجربة والخطأ الذي لانعرف اصلا عن وجود هذا الاخير فيه فصار كل ما نتلقاه علما اذا ما استطعنا الوصول اليه في اطار رمزية نقدسها في مظهر او هيئة من يقدمه لنا (الدعاة الجدد) فضاع من حياتنا الابداع والاختراع واهميته، وصرنا لا نعمر الارض بل نشتري الاعمار. لأننا نعتقد خطأ بانهم لم يتركوا لنا مجالا للاختراع فكل شيء موجود في الاسواق وقتما تشاء وبأية كمية و كيفية .

العلم بوصفه احد الفرائض على كل مسلم ومسلمة يتشمل على العلم في الدين الذي اهمل هو الاخر ولم يعد للثقافة بالمعنى الدارج لها اية اهمية في حياة الفرد وحتى الثقافة الدينية اذ لم نكلف انفسنا لنعي ما ورد في القران الكريم من اهمية التفكر والتعقل والنظر والحكمة ومكانة اولي الالباب عند ربهم حتى في مناقشة النصوص الالهية التي لا يستحي الباري فيها ان يناقش تكوين او حياة نملة او نحلة او حتى بعوضة (ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) (الاية ٢٦ البقرة) عندما يكون العلم بها منهجا يعقلن الانسان في عباداته اولا. وفي حياته (معاملاته) ثانيا. وسعيه لاعمار الارض ثالثا (المستقبل). التي جعل فيها خليفة، وفضل بذلك على كثير ممن خلق سبحانه وتعالى. فصرنا نعتمد على ما يأتينا عبر وسائل الاتصال الحديثة جاهزا وان كان الدين نفسه. دون ان نكلف انفسنا النظر في اهداف وغايات من يكلفون

انفسهم الكثير في كل شيء ليقدموا لنا مجانا علم لا تؤمن عواقبه من تطرف وارهاب يعصف بالبنى الاجتماعية.(١٢)

ليست الثورة ان يتصدى احدهم بما يمتلكه من شخصية كارزماتية فقط (النبي مثلا) بل ان الكل من المؤمنين مكلفين بها اذا ما كان العلم طريقهم الى المعرفة والوعي الذي يساعدهم على التفكر. من خلال اعادة بناء الاسس التي تقوم عليها عملية التنشئة الاجتماعية. انما الكاريزما جاء ليعلمنا المنهج فقط وليس كل العلم فالقران اوحي للنبي فقط وكانت بداياته عملية اعادة تنشئة وبث قيم اجتماعية في الحياة الفردية. الا اننا لا يمكن ان نتغاضى عن ان القران مارس هذه العملية في فترة الدعوة السرية مع الصحابة الاوائل الذين كرمهم القران بالتوكيد اكثر من مرة (والسابقون) (الاية ١٠ الواقعة) التي ذكرت اربع مرات . ان الافتقار الى المعرفة والعلم بالمنهج القرآني هو الذي يجعل من العلم الديني ايديولوجيا استطاعت بالخطابة او بالإعلانات ان تسيطر على العقول الكسولة التي لا تكلف نفسها بالتعلم والتعليم والمعرفة والتفكر والوعي باهمية ثورة اجتماعية على اوضاع فاسدة امتهنت كرامة الانسان ونزلت به الى الدرك الاسفل من جحيم الحياة الارضية فصار عبدا للحكام والظلام والطواغيت حتى قالوا فيه (الناس على دين ملوكهم) لانهم لم يكونوا يملكون دينهم كما ملكهم حكامهم فما كانوا ينظرون فيه ما ينفعهم وما يضرهم فكانت حياتهم ضررا دون نفع وبلاء دون دفع.

عمل النص القرآني على اعادة بناء ثقافة اجتماعية لجماعة اجتماعية ولم يكن النبي مكلفا منفردا لان قوى الفرد الواحد تعجز عن ان تحدث التغيير اذا لم تلاقي قبولا اجتماعيا يخلق ثقافة معارضة سلمية للأوضاع الاجتماعية ليضع حجر الاساس لثقافة اجتماعية عامة تبلورت في مجتمع المدينة المنورة. فهل من سبيل الى ثورة وتغيير سريع جذري شامل في البناء الفكري والسلوكي للفرد والجماعة الاجتماعية والمجتمع لان الثورة في اكثر معانيها عمومية هي عملية التغير الثوري السريع والجذري الشامل الذي يمكن ان يطرا على الحياة الاجتماعية للافراد والمجتمعات مهما اختلفت الطريقة التي تتم بها هذه الثورة فالثورة الاسلامية في جمهورية ايران قامت بالحشد الاجتماعي ضد قوى البغي والظلم والتجهيل قبل ان تقوم بقوة السلاح والدم (بنيت العقول لتكون القاعدة) ثم شرعوا فرفعوا البناء بالاعتماد على كل ما متاح من الوسائل الاجتماعية.(١٣)

المبحث الثالث المنهج الشمولي (....هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا واحصاها....)(الآية ٤٩ الكهف)

الحكمة وما ادراك ما الحكمة التي من اجلها يحصي كتاب الله ولا يترفع عن كل صغيرة ويوضح ويبين كل كبيرة. الحكمة لغة هي الكلام الموافق للحق او الفلسفة او هي صواب الامر وسداده. وكذا تعني العدل والحلم والعلم. واحكم الشيء اتقنه واحتكم الامر توثق واستحكم الامر صار محكما متقنا. ورد لفظ الحكمة في القران عشرون مرة ستة منها في السور المكية حيث كانت الدعوة تتطلب الايمان غير المشروط لان الداعية هو الرسول الكريم (ص) بما عرف عنه من صفات في الجاهلية اهلته لان يوسم بها موثقة. واربعة عشر منها مدنية عندما كلف المسلمون بالدعوة والانتشار بين القبائل والناس الى الدين الحنيف. كلها جاءت بعد لفظ الكتاب الذي يشير الى مضمون التعاليم الدينية وضرورة المعرفة بها بما يدفعنا الى التفكير في اشكالية عنوان البحث ان تعليم الشريعة لا يكفي بل يجب ان يتعداه الى توليد وغرس الحكمة على الاقل بالنسبة الى الدعاة ممن يسمون انفسهم اليوم رجال دين يفتون كيف يشاؤون او المؤمنين الذين يرسمون صورة القدوة الدينية اسوة بالرسول الكريم (ص) (ان لكم في رسول الله اسوة حسنة) وبالتالي فهي سمة المؤمن الذي رضي عنه الباري عز وجل واتاه الحكمة التي تعني الخير الكثير بمقدار ما تنطوي عليه الشريعة المحمدية. (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)(الاية ٢ الجمعة)

ان النصوص القرآنية عالجت جميع او غالبية مناشط الحياة الاجتماعية في المجتمع المكي والمدني وركزت على القيم الاجتماعية ذات المردودات السلوكية السلبية في الحياة الاجتماعية للافراد والجماعات الاجتماعية بينما عملت على اذكاء القيم الاجتماعية الايجابية الا ان ذلك يقودنا الى التفكير في هذه النصوص واعادة قراءتها من جانبين اساسيين من وجهة نظر الباحث الاول منهما هو ان مصدر شمولية المنهج القرآني للتغيير الاجتماعي تأتي من تكاملية القران وعمومية النص القرآني وتاريخيته فقط (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي)(الآية ٣ المائدة).(١٤)

ان هنالك ابعاد فكرية اخرى تصرفت بالنص اكتسبت فاعليته وقدسيته التي لا تلغي فاعليته في حياتنا الاجتماعية المعاصرة في الالفية الثالثة بعد مرور ما يزيد على ١٤٠٠ سنة من التغير الاجتماعي المتراكم

العشوائي منه والمخطط لصالح الغير في الكثير من الاحيان كان يكون الغير هذا مستعمرا او حاكما مستبدا لا يرى الا بقائه على سدة الحكم لأطول فترة ممكنة او توريث هذا الحكم دون وجه حق او استناد الى شرع او قانون. كمال الدين لا يعني ان الباري جل وعلى يقطع بعدم حصول تغيرات اجتماعية فيما بعد حياة الرسول الكريم. بدليل ان النص ناقش الردة بعد الرسول في حياة الرسول ولم يأبه النص بمن يضل بسببها. ان التكامل هنا هو بناء الانسان القادر على فهم واستيعاب التعاليم الاسلامية كمعرفة انتجت وعيا حقيقيا في كل عصر وزمان وموائمتها مع متطلبات ذلك العصر (فقول الرسول الكريم (ص) (اني تارك فيكم الثقلين) اوضح اشارة على ضرورة استلهام ما فيهما من مضامين فكرية واجتماعية ودينية.

ان قوة وفاعلية المعرفة الدينية كمعرفة انسانية اجتماعية في التأثير بسلوكيات الفرد والجماعة والمجتمع واحدة من البديهيات التي خلص اليها علماء الاجتماع الغربيين الذين اكتشفوا العلوم الانسانية ووضعوا السعادة الانسانية غاية لها تلك العلوم التي لا تتحقق الا مع تحقيق انسانية الانسان وتخليصه من كل المشكلات الاجتماعية والفردية التي تنغص عليه حياته وتعيق عملية التفاعل الاجتماعي الايجابي التي يخوضها في حياته الاجتماعية فقد قرروا ان الدين هو اقوى العوامل الاجتماعية واكثرها فاعلية في التأثير على السلوك الفردي والجماعي والمجتمعي ويمتلك الامكانية الاوسع في مناقشة جوانب الحياة الاجتماعية على كافة الصعد والمستويات اذا ما عرفنا اهم البديهيات التي قام عليها علم الاجتماع الديني والتي ترى بان الدين باق ما بقيت المجتمعات الانسانية باق ما بقي الانسان لأنه يقوم بأهم وظيفتين في حياة الانسان الاولى فردية وهي غرس الاطمئنان فيه و الثانية جماعية او مجتمعية وهي غرس الامل فيه وبدون هذه الوظيفتين لا يستطيع الانسان ان يكمل يومه الى غده وعلى هذا الاساس تم الاعتراف بعلم الاجتماع الديني كأحد اهم تخصصات العلوم الاجتماعية في الجمعية الامريكية للعلوم الاجتماعية في ستينيات القرن الماضي.(١٥)

مما لا بد كمن ذكره في هذا المجال هو ان ما يحدث من عمليات التحول نحو انواع التفكير الاخرى من الالحاد والمادية والعقلانية العلمية ليس الا عملية استبدال نسق قيمي بدل النسق القيمي الذي يشكله التدين الشعبي على حساب نسق قيم الدين التأسيسي بعد ان ابتعدت به من طابعه العقلاني العارف (الله استعبدنا بالعقول) الى طابعه الاسطوري لأن الدين هو نسق من الافكار والمعتقدات التي تنظم حياة بني الانسان

بعضهم مع البعض الاخر ومع ما وراء الطبيعة التي تظفي عليه طابع القدسية الذي يجعل من التعاليم الدينية ملزمة في السلوك الفرد والجماعي والاجتماعي في حياة الافراد والجماعات والمجتمعات الانسانية.(١٦)

اما اذا سألنا علم الاجتماع الديني لماذا يلحد الافراد او يتحولون الى نسق قيمي جديد بدلا من النسق السماوي؟ فيجيبنا ان كل عمليات التحول القيمي التي ينطوي عليها التغير الاجتماعي بما فيها التحول من دين الى اخر او الى اللادين كما هو الحال في المادية والالحادية وغيرها من التوجهات القيمية تقوم على عدم قدرة الدين او النص التأسيسي في الدين او حتى صور التطبيقات الاجتماعية على اشباع الفضول والرغبة المعرفية للفرد للمعنى الذي يضفيه الدين على ما تشتمل عليه الحياة الاجتماعية من ظواهر وسلوكيات ومشكلات نظرا لشمولية النص وتفسيره لجوانب الحياة الاجتماعية او عدم قدرته على مواكبة التغيرات الاجتماعية التي تحدث في حياة الفرد والمجتمع او تعارضه مع المكتشفات العلمية.

هذا الحال لا يقتصر على الافراد الذين ينتمون الى هذا الدين او ذاك فقط بل يتعداها الى نظرة الاخر الى هذا الدين او ذاك فمراجعة بسيطة وسريعة لموقف المستشرقين من شخصية الرسول الكريم (ص) توضح انهم لم يستطيعوا النيل من شخصية الرسول الكريم الا بوصفه بالعبقرية والتفرد كمصلح اجتماعي عندما رفضوا وعاندوا وكابروا على عدم الاعتراف بألوهية الاسلام من خلال الاعتراف بالمصدر الالهي للقران الكريم. الا اننا اليوم نجدهم ينالون من شخصية الرسول الكريم بالكثير من التعبيرات الاجتماعية التي تبررها افعال الكثير ممن يحسبون على الاسلام الذي اصبح دين الارهاب بعدما كان دين التسامح الذي اصبح دين القتل والمخدرات على يد القاعدة. بعدما كان دين الرحمة والحياة. فكانت كل الصور البذيئة التي رسمت في ذهنية الذي يجهل الاسلام هي صورة لناس جعلوا من انفسهم ممثلين للإسلام والاسلام منهم براء.(١٧)

فضلا عن ان بقية المسلمين ممن لم ينجرف في السلفية المقيتة والتطرف لم يستلهموا المعنى الفكري والاجتماعي للنص القرآني (يا ايها الذين امنوا لا تسبوا الهة الذين كفروا فيسبوا الله عدوا بغير علم)(الاية ١٠٨ الانعام). في التعامل مع مثل هكذا اساءة بل عملوا على تكريس هذه الصورة السلبية فمنحوهم العذر في المزيد وشككوا كل من لا يمتلك من الثقافة الدينية بما يعينه على التمييز بين الاسلام كدين وبين تصرفات الافراد كطريقة للتدين.(١٨)

اما الثاني فهو قابلية النص القرآني على استيعاب القيم الاجتماعية المستحدثة او القديمة في حياة الفرد والجماعة شريطة تحقق المصلحة الاجتماعية منها المتمثلة في الحفاظ على حياة الانسان حرة كريمة فالقران ليس جامدا بحث كل التفاصيل انما ترك الكثير من التفاصيل التي تهم الحياة الاجتماعية الى المسكوت عنه الذي يمكن الاجتهاد فيه. (انما يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)(الآية ١٨٥ البقرة) وكذلك الامر باتباع الرسول كقدوة هو واحد من اهمها. للكثير من الاسباب اهمها انه لا ينطق عن الهوى) وهو (على خلق عظيم) وقوله (ص) (لا تلحوا في المسالة لئلا تشق عليكم) و(انتم اعرف بدنياكم) و(لا تفعلوا كما فعل بنوا اسرائيل في البقرة) و(لا تسالوني لئلا تحرم) . هذا من جانب ومن جانب اخر فان القران الكريم امر الانسان بابتداع جميع العلوم للوصول الى حقيقة الاعجاز الالهي في الخلق لان ما اوتينا من العلم الا قليلا (قل يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا .....)(الاية٣٣ الرحمن).(١٩)

ان بحثنا هذا لا يستلهم جميع جوانب النظرية القرآنية نظرا لمحدودية امكانات كاتبه الا ان العلوم التي تناول الجوانب الاقتصادية في الاسلام كثيرة جدا فهنالك الاقتصاد الاسلامي والسياسة الاسلامية والتربية الاسمية والاسس الاجتماعية لبناء الاسرة الاسلامية في المجتمعات الاسلامية وغيرها من مجتمعات البشرية كلها استلهمت النص القرآني ولم تتمذهب ولم تتطيف ولم تسخر لمصالح واهواء الحكام فشهد بموضوعيتها الاعداء قبل الاصدقاء. (ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وبشر المؤمنين)(الآية ٩ الاسراء)

ليست الدعوة اعلاه تنطوي على مضمون الدعوة الى اسلمة العلوم قدر ما تنطوي على اهمية اشاعة الوعي الديني الحقيقي من اجل عملية التقعيد الاجتماعي للدين من خلال العلوم الاجتماعية والانسانية التي اهتمت بسلوكيات الانسان على شكل قواعد ومعايير اجتماعية تحدد نمط الاستجابات السلوكية للافراد ازاء كل الدوافع والحوافز والمثيرات في المواقف التفاعلية التي يمر بها الفرد المسلم المتسلح بالمعرفة القرآنية والحكمة والوعي المحمدي في حياته الاجتماعية داخل الجماعة او المجتمع الكبير. هي دعوة لقراءة القران أو اعادة قراءته هي دعوة لكل من يرغب ان يظهر هويته الاسلامية في كل اصقاع العالم دون ان يخشى الاتهام بالإرهاب من اجل ان يفتخر بإنسانيته التي نشأ عليها دينيا.

المبحث الرابع المنهج التكاملي

(كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق بأذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) (البقرة الآية ٢١٣)

التكامل في علم الاجتماع هو الوحدة والانسجام داخل النسق (system بنية النظام).يقوم على الاعتماد المتبادل بين الاجزاء المتخصصة. فوحدة الجماعة تقوم على اداء اعضائها انشطة مختلفة يعتمد بعضها على البعض الاخر. وكذا هو الحال مع الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد الا ان الانفصال بينها جاء على اساس تعدد الولاءات الذي خلق الهويات الفرعية التي طغت على الهوية الثقافية العامة الوطنية. ومع تعدد الهويات تبقى هذه الحالة طبيعية ما دامت الجماعة لا تعاني من الانغلاق نتيجة ضيق الفهم او الايديولوجيا (الوعي الزائف) الذي لا يقوم على المعرفة بل يستند الى انماط مغلوطة من النظم التعليمية التي تغذي التفرقة التي تبعدنا عن مضمون الوحدة الدينية (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)(الآية ١٠٣ ال عمران).(٢٠)

تخلق الايديولوجيا اعداء وهميين يهددون الوجود الاجتماعي لأفرادها عن طريق تهديدهم لوجود الهوية يستخدم فيها التهويل والتركيز على الخلاف في التعليم الديني بشكل خاص كيما تترسخ كقيم تراثية اصيلة حتى كانت احد التعاليم الدينية التي يستقى منها الحكم الديني هو المخالفة للآخر اذا لم يوجد سند يعزز الخلاف الامر الذي يعرض التكامل الاجتماعي الى الخطر وبالتالي تماسك المجتمع ووحدته وهويته الوطنية التي ستتفتت الى هويات فرعية متناحرة انشغلت عن اعدائها بالصراعات والنزاعات الداخلية وبذا نكون قد حققنا واحدا من اهم اهداف اعدائنا وغاياته ووسائله (فرق تسد) عندما نضمن له تبعيتنا بسبب ضعفنا وتفرقنا وضياع ديننا الذي يعد المحور الاساسي للهوية الوطنية في المجتمع العراقي ذا الغالبية المسلمة ٩٥% او اكثر.(٢١)

ورد لفظ (ب ع ث) مع تصريفاته اللغوية في القران الكريم ثمان وستين مرة في ثلاث واربعين سورة مكية وخمسة وعشرين سورة مدنية كلها من آيات الاخبار التي لا يمكن ان تنسخ الا بتغير الخبر او المخبر وهذا محال في كلام الله. فيما لم يشر اي منها ان البعث جاء على اساس التوحيد بين الاديان السماوية على اساس لاحق ناسخ لسابق بل ان (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) (الفرقان الآية ٥١) تشير الى ان

الاختلاف رحمة اكثر منه نقمة اذا ما ارتكز الى التخصص في الايكولوجيا البشرية بوصفه مناهج متعددة متفاعلة مع بعضها لترسم الطريق الحق الى الله يعتمد بعضها على البعض الاخر مصداقا له (مصدقا لما بين يديه) (ال عمران الآية ٣) للوصول الى الغاية الالهية من انزال الكتاب. و(الآية ٢٨٥) من سورة البقرة خير مصداق لتوجه الباحث في التحليل.

يعتمد بناء الدين للمجتمع على التنمية البشرية و بناء راس المال الاجتماعي الذي يتخذ من التعاليم الدينية اساسا ومنطلقا له في حياته الاجتماعية الحاضرة و المستقبلية الى قيام الساعة. ان عملية التخطيط العقلاني للإمكانات البشرية على اختلافها المادية والمعنوية من الثروات الطبيعية والفكرية التي تشمل القيم والعادات والتقاليد المسبق تعد الغاية القصوى في بناء راس المال الاجتماعي بناء الانسان قبل بناء راس المال الاقتصادي الثروات الطبيعية والصناعات او غيرها من مصادر الثروة. ان بناء الانسان قبل بناء الدولة الصالحة التي تقوم في بنيتها الاجتماعية على المواطن الملتزم قانونيا واخلاقيا ودينيا. عندما يكون الدين اهم عوامل الضبط الاجتماعي الغير رسمية و الاكثر فاعلية في حياة الفرد والجماعة والمجتمع.(٢٢)

اذ تشير التنمية البشرية على انها علمية الارتقاء بالمواهب والامكانات الذاتية للفرد من خلال عمليات التمكين الممنهج التي تقوم بها الدولة وتركز على تفعيل الاواصر الاجتماعية مع افراد المجتمع الاخرين بربط المصالح الفردية مع الاجتماعية العامة سعيا الى الحفاظ على تماسك واستقرار واستمرار المجتمع. بما يحقق التوافق والاندماج للفرد داخل البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ويعمل على مساعدة الفرد على تحقيق ذاته الاجتماعية. لقد ركز ابن خلدون على اهمية العمران البشري المتمثل بعملية التنمية البشرية ودوره في بناء الحضارة وتأثير انماطه في استقرار واستمرار الحضارات ونشوئها واضمحلالها.(٢٣)

تتميز المجتمعات البشرية الحديثة بالتعددية الدينية داخل المجتمع الواحد والتعددية المذهبية والطائفية داخل الدين الواحد تشكل هذه الفئات الاجتماعية المختلفة نسيج البناء الاجتماعي فيها. اذ شكلت حدود الدولة القومية الحديثة حدود هذه المجتمعات وحدود ثقافاتها العامة التي انطوت على مجموعة من الثقافات الفرعية ضمن اطار هذه الثقافة تتميز بشيء من التخصص و الخصوصية الا ان المشتركات العامة للثقافة في المجتمع لا تتأثر بمثل هذه الخصوصيات بل تعد احد اهم عوامل اغناء الثقافة اذ يضمن التكيف والتفاعل الثقافي بين هذه الثقافات الفرعية وكذلك يضمن التعايش والاندماج بينها في اطار الثقافة العامة التي

تمثل فئات المجتمع كما ان الهوية الوطنية للمواطن في الدولة القومية الحديثة تعتمد على الاسس التي تقوم عليها الثقافة العامة ودن الاستناد الى اسس الثقافات الفرعية التي تشكل في مثل هذه الحالة هويات فرعية تمثل جزء متفاعلا مع غيره من اجزاء الهويات الوطنية العامة. اذ ان المجتمع يمثل كلا اكبر من مجموع اجزائه كما ان الثقافة هي ذلك الكل المركب من اللغة ومختلف العادات والتقاليد والمعتقدات والفنون التي تميز مجتمع عن وغيره من المجتمعات الانسانية.(٢٤)

ان التكامل الاجتماعي واحدا من اهم العمليات الاجتماعية التي تجري على مختلف الصعد داخل الحياة الاجتماعية وترتبط استمرارية المجتمع وبقائه بالتكامل الاجتماعي ارتباطا مباشرا فهو يجري بين الفرد والاخرين من اعضاء المجتمع بنفس الاهمية التي يجري بها بين الفرد و بيئته الطبيعية كما يجري بين الجماعات الاجتماعية بعضها مع البعض الاخر بنفس الاهمية التي يجري فيها بداخل الجماعة الاجتماعية الواحدة وبينها وبين بيئتها الطبيعية ايضا اذ يفترض التفاعل الاجتماعي الايجابي بين هذه الفئات المختلفة لتحقيق الاهداف الاجتماعية العامة للمجتمع بالدرجة الاساس ويطلق في بعض الاحيان مجموعة من المصطلحات المرادفة للتكامل الاجتماعي كالتكافل والتساند التي تجعل من الحياة الإنسانية داخل المجتمع الواحد ممكنة. اذا ما توافر نوع من التكامل الثقافي بين فئات المجتمع و مكوناته فضلا عن التكامل الايكولوجي الذي يضمن للأجيال المتعددة في المجتمعات في حاضرها ومستقبلها حياة اجتماعية سوية.(٢٥)

يشكل الدين او المعتقد العمود الفقري لثقافة كل مجتمع بل انه اهم مكوناتها المعنوية ويفترض التكامل الديني اذا صحت التسمية التكافل والتساند بين الفئات الدينية المكونة للنظام الديني في المجتمع و بالتالي بنية المؤسسة الدينية فيه التي تعد واحدة من اهم المؤسسات المؤلفة للبناء الاجتماعي في المجتمعات الانسانية. اذ تتميز جميع الاديان الموجودة في العالم السماوية منها والوضعية الوثنية وحتى الاديان الفلسفية او تلك التي نشأت بلا اله بالتعددية الطائفية والمذهبية التي نتجت عن تفرق الدين الى سبل عدة نتيجة غياب الكاريزما بسبب وفاته فضلا عن غياب حواريه (الصحابة) بعد ان يخلق المبرر الديني ليكون المرجعية الشرعية لهذا الانقسام من قبل هذه الفئات الدينية في مرحلة اتباع الاتباع وهو ما موجود في الديانة الاسلامية باسم حديث الفرقة الناجية الذي تتفق جميع الفرق والمذاهب والطوائف الاسلامية انه من الاحاديث الضعيفة اذ تنقسم جميع الاديان على مثل ذلك بدون استثناء في نفس المرحلة التاريخية. هنا

تختفي فاعلية الدين في التوحيد ويتحول من دين واحد الى طرق متعددة للتدين تختلف الجماعات فيه بالفروع وتتفق بالأصول الا ان التقادم الزمني لهذا الاختلاف وما يكتسبه من القدسية يجعل من هذه الفروع اصولا ويستمر الانقسام داخل هذه الفرق و الطوائف و المذاهب الى ما شاء الله نظرا لوجود المرجعية الدينية المبررة لحدوثه.(٢٦)

ومما يجدر ذكره في هذا المجال ان الاديان جميعها لجات الى عملية اعادة توحيد الدين بعد ان لمست التهديد الحقيقي من الفلسفات الملحدة و التطور العلمي السريع و المذهل الذي عمل على اضعاف الالتزام الديني لدى الافراد من خلال اتفاق فقهاء المذاهب والفرق على مثل هذه الخطوة التي تهدف الى الحفاظ على الدين موحدا ذا فاعلية كما في المجامع الكنسية في الديانة اليهودية و المسيحية ومنظمة التقريب بين المذاهب التي ترعاها منظمة المؤتمر الاسلامي وتكمن المفارقة في ان رجال الدين من الدعاة يحاولون قدر الاستطاعة تجاهل ذلك والتعتيم عليه فتجد غالبية الشباب من ابناء بلدنا العزيز يستغربون وايما استغراب عندما تعرض عليهم هذه الفكرة وعلى مستوى المثقفين الدينين ايضا اذ ان السائد الخلاف والتكفير وليس الاختلاف والاقتراب.

الخاتمة

ان جاهلية القرن العشرين كما يسميها الاسلاميون تضعنا تحت وطأة الشعور المر بالحاجة الى الدين بما هو نص الهي تأسيسي يعمل على اعادة بناء نسق افكارنا ومعتقداتنا وينظم علاقاتنا بعضنا مع البعض الاخر في حياتنا الاجتماعية الدين الذي يختار الالتزام به طوعا كونه اهم عناصر الضمير الانساني وبالتالي

علاقتنا بالباري عز وجل هذه الحاجة لن تشبع حتى نتبع مناهج سطرها الدين وبقيت بين دفتي مصحف وما ينطق به الرجال هو ما يعد الحق اليوم وليس ما بينه الحق في محكم كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلف. ويخلق التساؤلات عن السبيل الى ذلك.

هل نحن بحاجة الى نبي رسول وخاتم الانبياء عربي بلسان مبين منا وهل نحن بحاجة الى كتاب وهو موجود في جميع منازلنا بأكثر من نسخة وجميع مكتباتنا بمئات النسخ. وهل نحن بحاجة الى من يفسر لنا بالموروث بعد ان عرفنا وتعلمنا العلوم الانسانية بشتى انواعها واهدافها وغاياتها فأسسنا الكليات والاقسام العلمية التي تمنح اعلى الشهادات. هل نحتاج الى عقل وقد تعلمنا كيف تبنى العقول ومتى تبدع وتخترع

ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اشار علينا بالثقلين اللذين يمكن ان يكونان لنا نبراسا في بحوثنا ودراساتنا ومفتاحا لمعضلاتنا فهل نحن متعظون ام اننا (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم). لست اجرء على الادعاء باني قد درست كل منهاج القران تفصيلا ولكن هذا ما اسعفتني به معرفتي وما تعلمته من العلوم الاجتماعية وفوق كل ذي علم عليم مكلف بان ينشر من علمه ما استطاع وما نال اذا ما اراد الحفاظ على عهده مع الله فقد ورد في صحيح الحديث عند ناصر الدين الالباني في جامع الاحاديث الصحيحة قول الرسول الكريم محمد بن عبد الله (ص) (ما اتى الله احدا من العلماء علما حتى اخذ عليه عهدا بألا يكتمه) في اعناقنا عهد وامانة وان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها.

تم بعونه تعالى

الهوامش

١- فضيل دليو دراسات في المنهجية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٩٥ ص١٤

٢. صلاح كاظم جابر التعليم الحواري و التعليم المدرسي دراسة في ديمقراطية التعليم مجلة القادسية للعلوم الإنسانية المجلد الحادي عشر العدد ٣ /٢٠٠٨م ص ٤٣٠ ومابعدها

٣. المصدر نفسه

٤. بطرس البستاني : محيط العلوم ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٩٧ ، ص ٥٩٤.

5. Kewal Matwani: sociology of Knowledge (Bombay : Edited,somaiya publication ,1996) p . 36 .

٦. إبراهيم مدكور: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٥، ص ٦٤٤.

7. Daisy to Education psychology,Encyclopedia britanica.Inc,William,London published,volum, 1969,p.396

٨. محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧ ص ٢٨٧، ٢٨٨

٩. المصدر نفسه ص ٣٨٧

١٠. محمد احمد بيومي علم الاجتماع الديني دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٨ ص٣٢٥

١١. صلاح كاظم جابر مصدر سابق

١٢. حسن رمضان فحلة مقومات الحضارة الانسانية في الاسلام دار الهدى عين مليلة الجزائر ١٩٨٩ ص ١٨٦ وما بعدها

١٣. محمد احمد بيومي مصدر سابق

١٤. سابينو اكوا فيفا وانزو بانتشي علم الاجتماع الديني ترجمة عز الدين عناية هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ٢٠١١ ص ٥٣-٥٨

١٥. المصدر نفسه ص٣٨

١٦. فؤاد زكريا الانسان و الحضارة مكتبة مصر القاهرة ١٩٩١ ص ص٣٥

١٧. حسن رمضان فحلة مصدر سابق

١٨. المصدر نفسه ص ١٢٩-١٨٠

١٩. المصدر نفسه

٢٠. ابراهيم مدكور معجم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٥ ص ١٧٤,١٧٥

٢١. عدنان عويد الايديولوجيا والوعي المطابق التكوين للطباعة والنشر والتوزيع دمشق ٢٠٠٤ ص ١٩

٢٢. زكي الميلاد الفكر الاسلامي دار الانتشار العربي بيروت ١٩٩٩ ص ٩٥-١١١

٢٣. عز الدين عناية تاعقل الاسلامي دار الطليعة بيروت ٢٠١١ ص ٧-١٧

٢٤. حيدر حب الله مسالة المنهج في الفكر الديني دار الانتشار العربي بيروت ٢٠٠٦ ص٤٩وما بعدها

٢٥. المصدر نفسه

٢٦. سابينو اكوا فيفا مصدر سابق

المصادر

1- Daisy to Education psychology,Encyclopedia britanica.Inc,William,London published,volum,1969,

2- Kewal Matwani: sociology of Knowledge (Bombay : Edited, somaiya publication ,1996)

٣- ابراهيم مدكور معجم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٥

٤- بطرس البستاني : محيط العلوم ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٩٧ ,

٥- حسن رمضان فحلة مقومات اغلحضارة الانسانية في الاسلام دار الهدى عين مليلة الجزائر ١٩٨٩

٦- حيدر حب الله مسالة المنهج في الفكر الديني دار الانتشار العربي بيروت ٢٠٠٦

٧- زكي الميلاد الفكر الاسلامي دار الانتشار العربي بيروت ١٩٩٩

٨- سابينو اكوا فيفا وانزو باتشي علم الاجتماع الديني ترجمة عز الدين عناية هيئة ابو ضبي للثقافة والتراث ٢٠١١

٩- صلاح كاظم جابر التعليم الحواري و التعليم المدرسي دراسة في ديمقراطية التعليم مجلة القادسية للعلوم الإنسانية المجلد الحادي عشر العدد ٣ /٢٠٠٨م
١٠- عدنان عويد الايديولوجيا والوعي المطابق التكوين للطباعة والنشر والتوزيع دمشق ٢٠٠٤
١١- عز الدين عناية العقل الاسلامي دار الطليعة بيروت ٢٠١١
١٢- فضيل دليو دراسات في المنهجية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٩٥ ص١٤
١٣- فؤاد زكريا الانسان و الحضارة مكتبة مصر القاهرة ١٩٩١
١٤- محمد احمد بيومي علم الاجتماع الديني دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٨
١٥- محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧